تجليات المسكوت عنه في رواية "تاء الخجل "للروائية "فضيلة الفاروق"

Manifestations of the unspoken in the novel "Ta' Al-Khijal" by Fadela Al-Farouq

بلهيس شيماء

تاريخ الإرسال: 2023/12/265	تاريخ القبول2024/02/23	تاريخ النشر2024/04/27

الملخص:

تناول هذا البحث تجليات المسكوت عنه في السرد الروائي، ويختار رواية "تاء الخجل "للروائية "فضيلة الفاروق "مجالا للدرس. باعتبارها من أعلام الرواية النسائية في الجزائر،وأيضا تخطيها لعوالم المعتاد وغوصها في الممنوع والمحظور،وتحطيمها للمضمر والمسكوت عنه.

وقام بناء هذه المداخلة على تمهيد طرحنا فيه اشكالية المسكوت عنه في رواية "تاء الخجل"، ثم الفصل الأول والذي عرفنا من خلاله الثالوث المحرم،وأخيرا الفصل الثاني آثرنا فيه أن نسلط الضوء على جوانب الثالوث المحرم (الجنس-الدين –السياسة)في الرواية .

وفي ختام البحث تم التوصل الى جملة من النتائج أهمها :كيف عالجت الروائية "فضيلة الفاروق "التابوهات "، وكيف وظفتها في محبكها الروائي مزاوجة بين :الابداع الروائي والمسكوت عنه القرائي.

الكلمات المفتاحية: فضيلة الفاروق –المسكوت عنه :الثالوث المحرم –تاء الخجل.

Abstract:

This research studeid what was left unsaid in the novel ta al-khajal by the writer fadela al-farouk. Because she is a pioneer in algrainwomens writing and was also able to study the taboos in her novels.

This intervention studied the problem of what is left unsaid in the novel we came to the conciusion That the writer studeid what was left unsaid in her novel and also employed the taboo.

This intervention was based on a preparation in which we presented the forms that are not mentioned in the novel "Ta' Al-Khija", then the first chapter, through which we defined the forbidden trinity, and finally the second chapter, in which we chose to shed light on the aspects of the forbidden trinity (sex - religion - politics) in the novel.

The research concluded with a number of its most important results: How did the novelist Fadela Al-Farouq deal with taboos, and how did she employ them in her novel plot, combining: novelistic creativity and the readerly silence.

***Key words**:fadela al-farouk- the unspoken-the forbidden Trinity- taa al-khajal..*

*** *** ***

المؤلف المرسل: chaimabelhis@gmail.com

. مقدمة:

لقد استطاعت الرواية خلال السنوات الأخيرة، أن تفرض ذاتها في المشهد الأدبي بالعالم العربي مزعزعة بذلك، مكانة الخطاب الشعري الذي طالما كان له الريادة في الساحة الأدبية، ويمكن ارجاع ذلك الى كون الرواية خطاب أدبي، منفتح على العديد من الأنواع الأدبية، وبذلك استطاعت أن تتجاوز الخطاب الأحادي، الى خطاب تعددي متشابك، وهذا ما أهلها لأن تكون من أهم الخطابات مقدرة على تمثل أحوال المجتمعات ومعالجة مختلف القضايا الفكرية، وعليه يمكننا التسليم بالقول أننا في زمن الرواية، وأن الرواية ديوان العرب في العصر الحديث .

ومما لاشك فيه أن الروائية الجزائرية قد فرضت وجودها الى جانب الرجل، فأبدعت في ذلك أيما ابداع، خاصة إذا ما تعلق الأمر "بالمسكوت عنه"، حيث جاءت الخطابات الروائية الأنثوية غنية بحضورها النصي باعتبارها ذات فاعلة، ويمكن رد هذه السمة التي تميزت بها الرواية النسوية الى التركيبة البسيكولوجيةللمرأة، التي تتميز بالحس المرهف، و كذا اهتمامها بأدق الأمور والتفاصيل، أكثر من نظيرها الرجل، وبذلك تترجم هذه المدركات الكامنة في نفسها، وتعيد صياغتها في نتاج أدبي راقي.

وأدبنا الجزائري عامة والنسوي خاصة، زاخر بالعديد من الابداعات الروائية التي تفيض بقضايا حساسة خرقت منطقة المسكوت عنه واستعمرتها،لتجعلها حبيسة النسوية، ورواية "تاء الخجل " للكاتبة :"فضيلة الفاروق" وقع عليها اختيارنا لأن تكون محور دراستنا في هذه المداخلة، وعليه يمكننا طرح بعض التساؤلات :

1-مالمقصود بالمسكوت عنه في الرواية ؟

2-وكيف تناولت الروائية المسكوت عنه عبر روايتها؟.

2.المسكوت عنه (التابو/ المحظور/المحرم):

المسكوت عنه في اللغة هو الذي لا يتحدث فيه،كما يتداخل مع عديد الكلمات التي وان اختلفت معانيها اللغوية الا أنها تتفق في مفهومها أهمها المحظور، و الذي يقابل مصطلح التابو في اللغة الانجليزية، ويعرفه الدكتور "حسن مناصرة " على أنها : "مفردة تدل على كل ما هو مقدس أو محرم أو مسكوت عنه، سواء أكان دينيا أم سياسيا أم جنسيا (الثالوث المحرم)، يحظر في جسد الكتابة الابداعية بأقلام نسوية تعد أقدر من غيرها على تقديم ثقافة انتقادية أو مناقضة لكل تابو سائد في المجتمع [1].

إذن التابو في نظر الدكتور" مناصرة" هو ملامسة المحظور، و اختراقه بأقلام نسوية، كون المرأة في تناولها للتابو إنما تريد تطويعه لما يخدم قضاياها و يوصل اشكالاتها، فهي من خلاله تحتفي بقضايا تخصها .

وروايات "فضيلة الفاروق تحفل "بالتابوهات والمسكوت عنه" بأنواعها أهمها:

أ-المسكوت عنه السياسي :

لم يعد الخوض في السياسة والحديث عنها بأمر يخص الأقلام الذكورية،بل على العكس فقد استطاعت المرأة أن تصل الى "تابوه السياسة "،وتطلق صوتها هي الأخرى .و حديثها عن السياسة انما هو نتاج الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في بلادها، ومن ذلك القضايا السياسية الناتجة عن الارهاب و مخلفاته. فكان نتاجها لا يخص القضايا السياسية وحدها و إنما يتقاطع مع المرأة، فجاء الحديث عن المرأة في ظل هذه الأوضاع ....فكان الخوض في هذه القضايا وليد حاجة لا رغبة.

ب-المسكوت عنه الجنسي :

ولجت الكاتبة عالم "الايروتيكية " وخاضت أيضا في تيمة الجنس،هذا التابو الذي طالما احتكره الآخر لنفسه، فكسرت هذا الأخير الذي يعد:" موضوعا اجتماعيا فضائحيا لافتا ومرغوب فيه يفضي بالكاتبة الى الانتشار والسطحية و الاثارة، وبذلك يشكل الجنس مركز التابو في المستويين الاجتماعي وغير الابداعي عموما ".[2]

وقد تلجأ الكاتبة لهذا التابو كي تقوم ب:"تعرية واقع القيم الاجتماعية السلبية السائدة، و بالذات في مجال اضطهاد جسد المرأة،في المنظور النسوي،الذي يعلي من شأن الجسد فيطلق رغباته، لإدانة القمع الذكوري المهيمن على الأنثى "[3].

إذن جاء الحديث عن الجنس في الأدب النسوي، اما : لتعرية الواقع السلبي السائد واما لفضح ممارسات الرجل على المرأة واما كردة فعل منها لكسر الرجل .

ج-المسكوت عنه الديني :

"تجرأت المرأة الساردة النسوية على مناقشة تابو الدين،بصفته تعاليم الهية نقية وعادلة، والدين بصفته ممارسة معيشية في الواقع على يد سلطات دينية جائرة و غير عادلة، وذلك عندما تضطهد السلطة الدينية المرأة بصفتها رمزا للفتنة "[4].

إذن جاء حديث المرأة في تابو الدين بشيفرات مختلفة و يمكن حصرها في 3 توجهات أهمها :

1-الحديث عن الدين بصفته تعاليم الهية عادلة .

2-استغلال الدين وتفصيل الفتاوي على مقاس الأشخاص .

3-و اضطهاد السلطة الدينية (الجائرة) المرأة، كونها رمز للفتنة.

3. تجليات المسكوت عنه في رو اية تاء الخجل :

"تاء الخجل " هي رواية مسكونة بالخوف الأنثوي و الأسئلة و وعي النهايات،و التشبث بذاكرة مهددة هي ذاكرة "العشرية السوداء ". يقدم النص خطابا بديلا و مناهضا تحيي فيه الروائية ذاكرة انتمائنا للجزائر وانتمائها لنا،عبر حكي مرحلة من تاريخنا فيها وتاريخها فينا،وفي الرواية مسعى لاصطياد الحقيقة، و بناء ذاكرة مثمرة حاضنة لبداية جديدة تنسل خيط الحياة، من داخل لحظة الموت .

لتكون بذلك الروائية "فضيلة الفاروق " قد كسرت جدار الصمت و خرجت من شرنقتها الأنثوية لتثبت وجودها و مكانتها كطاقة مهمشة ظهرت لتقف في وجه الهيمنة الذكورية، وتجهر بصوتها من خلال الرواية النسوية التي استطاعت أن تلامس و توثق تابوهات لا نجدها الا في عالم المرأة التي لا يعرفه سواها.

"والكتابة عند المرأة المبدعة تمثل رغبة جامحة في افراغ المكبوت أو المسكوت عنه "[5].

وفي هذه الورقة البحثية سنقف عند أهم القضايا والمسائل المسكوت عنها، والتي لامستها الروائية في روايتها "تاء الخجل ".وهي الثالوث المحرم (السياسة،الدين،الجنس).

1.3. تابو السياسة /المسكوت عنه السياسي :

عاشت الجزائر فترة هامة وحرجة،بعد أكثر من 40 سنة من الاستقلال وصلت فيه الى طريق مسدود بفعل الفساد السياسي، والانحراف الثقافي،وهي فترة اصطلح تسميتها بالعشرية السوداء، فكانت مادة دسمة للروائيين لطرق تابو السياسة من خلال الولوج لقضية الارهاب و الاغتصاب والدم المهدور بسببهم .

فجاءت رواية "تاء الخجل "للروائية "فضيلة الفاروق"،محملة بمشاعر الرفض والتمرد على الارهاب والجماعات الارهابية التي استغلت الدين لإغراق الجزائر في طوفان من الدم،وصار بحر الموت مطرد فيها .

فالكاتبة تحدثت في الرواية عن أزمة الوطن،وطن يموت أبناءه كل يوم،وطن يتنفس رائحة الموت والجنائز فقط.

عرضت الكاتبة الأحداث على لسان بطلة الرواية "الصحفية خالدة، التي من خلال مهنتها استطاعت أن تعايش الأحداث ابان سنوات الارهاب، الذي ألحق للمرأة العار و الدمار .

تقول :"سنة العار .....

-سنة 1994م التي شهدت اغتيال 151 امرأة و اختطاف 12 امرأة من الوسط الريفي "[6]

استطاعت الكاتبة أن تتيح الفرصة لإيصال واطلاق صوت الأنثى،عبر تقنية الكولاج للتعبير عن عمق قضيتها بحرية، فطرحت قضية المرأة الريفية الجزائرية، وما عاشته من قتل واغتصاب من قبل الجماعات الارهابية .ثم تواصل الحديث عن هذه القضية ودائما باستخدام تقنية الكولاج وهو ايتيكيت أحسنت استخدامه في الرواية، فأوصلت لنا من خلاله صدق ووقائعية تلك المشاهد التي طرحتها تقول :

"للانتصار للشرف بقتل نساءهم، ونساء من يحاربوننا أينما كانوا في كل الجهات التي لم نتعرض فيها لشرف سكانها، ولم نحاكم فيها النساء (...)،وسنوسع دائرة انتصاراتنا بقتل أمهات و أخوات وبنات الزنادقة اللواتي يقطن تحت سقف بيوتهن، واللواتي يمنحن المأوى لهؤلاء .....

"550حالة اغتصاب للفتيات و نساء تتراوح أعمارهم بين 13و14سنة سجلت تلك السنة،(....)1013امرأة ضحية الاغتصاب الارهابي بين سنتي 1996و 1997،إضافة الى ألفي امرأة منذ سنة 1997"[7]

من خلال هذه المقاطع نلحظ أن الكاتبة طرحت قضية سياسية شائكة و أليمة وهي :قتل واغتصاب النساء من قبل الجماعات المتطرفة، والسبب: أنها تأوي أعدائهم الذين هم أبناء وطنها .وتلقي اللوم على القوانين المفرغة التي لا تحمي المرأة .والحكومة التي تتواطأ بمثل هكذا قضايا .

والكاتبة نجحت في طرحها لقضية الارهاب و فضحت جرائمه بجرأة، كما ثارت على السياسات التي أدخلت البلاد في بحر من الدماء،"فالروائية تبدو محقة عندما توجه انتقادا حادا الى السياسة في العالم العربي بصفتها مجتمعات رجعية، يتلاعب فيها بالانتخابات النيابية والرئاسية .....ويخرج الوزير فيها مليونيرا ينهب حقوق المواطن .... من منظور أن السياسة عالم وقح يباح كل شيء فيه"[8]

فالكاتبة طرحت واقع سياسي بلهجة أنثوية ثائرة، مكنتها من أن ترفض الأوضاع التي تعاني منها البلاد. و الرواية كانت بمثابة الجوكر، الذي استطاعت الكاتبة أن تطلق من خلاله صوتها، وتلج عالم السياسة وتبسط وجهة نظرها،فحملت "خالدة "بطلة الرواية أعباء هذه القضية السياسية فكانت هي الصوت الذي يجهر بحقارة السياسة التي تغتصب النساء، وتدوس على كرامة الشعوب،وهيبة الوطن .....

2.3. تابو الجنس /المسكوت عنه الجنسي :

الجنس هو الضلع الثاني لمثلث الثالوث المحرم، الذي امتلئ عالم الكتابة النسائية به،بحيث حاولت الكاتبة من خلاله أن توصل لنا صوتها وتفرض به ذاتها، فجاءت نصوصها محملة به .

1.2.3. تابو اغتصاب الجسد :

تناولت الكاتبة "قضية الاغتصاب "وهو تابو من التابوهات المظلمة و المسكوت عنها، إذ يعد من أخطر الجرائم الجنسية المخلة بالأخلاق .فهو اعتداء على الشرف في أبشع صورة، فإكراه المغتصب للضحية على فعل جنسي لم تتجه اليه بطواعيتها،فيمح بذلك حريتها الجنسية .

استطاعت الكاتبة "فضيلة الفاروق "من خلال روايتها أن تغوص في أعماق المحظورات وأن تستنطق المكبوتات بأساليب اباحية "تتأسس على أشكال المكاشفة والاعترافات الصامتة التي يتداخل فيها الواقعي و المتخيل الحقيقي والحلمي "[9] .عبر حكي أحداث لنساء في فترة العشرية السوداء،تعرضن للأبشع طرق الاغتصاب والتعذيب الجسدي وكمم صوتهم .

أ-العروس المغتصبة :

صورت الكاتبة اغتصاب العروس،وهي صورة التقطتها خالدة بطلة الرواية من المجتمع،والذي أحدث جرحا في ذاكرتها،جعلها تكره الزواج وتنظر له بصورة مقززة تقول :"لم أفهم شيئا لكنني تقززت حين رأيت قميص نوم العروس ملطخا بالدماء "[10]

"ما أبشع أن تكون الواحدة منا عروسا "[11] صورت الكاتبة لنا العروس على أنها دمية لا سلطة ولا خصوصية لها،فحتى جسدها لا تملكه فقد أصبح حلبة مصارعة لإثبات رجولة العريس فقط .

ب-ريمة نجار المغتصبة :

من التابوهات الحساسة والهامة جدا والتي طرحتها الكاتبة في روايتها هي قضية اغتصاب القصر من طرف الكهول المكبوتين .

فهاهو صوت آخر من أصوات شخصيات رواية "تاء الخجل "تغتصب وينتهك حجاب عفتها،لكن هذا الصوت هو للفتاة ريمة صاحبة الثامنة ربيعا،الذي رماها والدها من الجسر و قال أنه خصلها من العار .

صورت الكاتبة الآخر الأب و الآخر المغتصب في شكل :وحوش بشرية بحيث العجوز الأحدب اغتصبها و الأب قتلها مخافة العار .

هنا سلطت الكاتبة الضوء على تابو مهم وهو اغتصاب القصر وكيفية تعامل الوالدين مع الاغتصاب .وأعطت نموذج لآباء غير واعيين همهم هو سمعتهم.

ت-راوية ضحية اغتصاب الارهاب :"راوية "هي الأخرى لم تسلم من الاغتصاب فقد اغتصبها الارهاب، قالت :"أنظري .....ربطوني بسلك و فعلوا ما فعلوا .لا أحد منهم في قلبه رحمة وحتى الله تخلى عني مع أنني توسلته :أين أنت يا رب ؟"[12]

مارس الارهاب على راوية شتى أنواع السلطة :

من سلطة العنف :"الربط بسلك الى سلطة التعدي والاغتصاب "حتى صارت تحاكي الاله بتمرد ما ورائي :وهو مجادلة الاله دون مجاملة "أين أنت يا الله ؟" " حتى الله تخلى عني "

فكأنها تبحث عن عدالة الهية تخلصها من اغتصاب الآخر الوحش لها .

ث-رزيقة المغتصبة :انتصر المغتصب مرة أخرى و انتحرت "رزيقة "الجميلة المغتصبة، هكذا هن النساء في عالم مجرد من تائهن والبقاء كان للمغتصب وليس لهن .

ج-يمينه المغتصبة :ماتت شخصية أخرى نسائية من شخصيات فضيلة الفاروق في حين لم يمت رجل واحد من رجال الرواية .

إذن :نلمس هاجس وجبروت الآخر في جل التابوهات والأحداث التي طرحتها الكاتبة،في المقابل نلاحظ أن الأنثى مهمشة، معذبة،مختنقة لا صوت لها في وجود الرجل .

فقد عالجت الكاتبة تابو من التابوهات المسكوت عنها والتي تمثل هاجسا ملامسا للمرأة وهو سلطة الآخر و تهميشه للذات الأنثوية،فقد رصدت لنا الراوية مشاهد عديدة تبرز سلطة الآخر و جبروته على الأنثى .فمن خلال هذه المشاهد التي تعرضت لها الأنثى تشوهت صورة الآخر عندها و أصبحت العلاقة بينهما علاقة متوترة .

ونجد الكاتبة في روايتها هذه قد قولبت الآخر في قالب نمطي واحد وهو "الرجل السلطة " و"الرجل السلطة المغتصب"

هكذا تسلط الكاتبة الضوء على المسكوت عنه، عبر صوت شخصيات نسائية عديدة،تفضح من خلالهم ممارسات الرجال الوحشية في حقهن.

وبذلك تكون قد قدمت لنا الكاتبة،أزمة ضمير عاشتها النساء،فقد كان الرجال جلادوها. فقد جسدت لنا أعماق الأنا النسوية المضطهدة في بداية الرواية ثم المغتصبة والمختطفة والمجنونة في نهايتها .

وبذلك يلاحظ المتلقي "في رواية تاء الخجل " أن علاقة الأنثى مع الآخر من البداية للنهاية اتخذت طابعا مأساويا حيث يبدو الآخر منتصرا و تبدوا الأنا مهزومة أمامه .

3.3. تابو الدين /المسكوت عنه الديني :

نهج السرد في الخطاب الديني "لفضيلة الفاروق" عبر روايتها "تاء الخجل "،نهجا واحدا متباينا تعمدت الكاتبة توظيفه لدعم الفكرة التي كانت تناقشها في روايتها وهي اظهار "الكاتبة موقفها من قضايا دينية مختلفة خاصة تلك القضايا التي تدور في فلك المرأة وحياتها "[13]

وفي رواية "تاء الخجل "تتعرض الكاتبة لتابو الدين في محاولة لإدانة الممارسات الدينية من طرف السلطة الدينية التي كانت متأثرة بجبهة الانقاذ – ومنهم الأئمة الذين كانوا يعتلون المنابر ويدعون بدعاء سمته الكاتبة ب"الدعاء الكارثة "وهو :

"اللهم زن بناتهم "

"قالوا آمين"

"اللهم رمل نسائهم "

"اللهم يتم أولادهم "

"قالوا آمين "[14]

فالكاتبة "أرادت كشف المستور الذي يختفي تحت عباءة الدين، فهي تدين مطبقي الدين وليس الدين في حد ذاته فهي ترى أن الدين عادل في ذاته لكن من يطبقونه هم الظالمون أو الجائرون في المنظور السردي على الأقل "[15]

وفي موضع آخر من الرواية تتعرض الكاتبة لتابو الدين في محاولة منها هذه المرة أن تدين –السلطة الارهابية –التي تفصل الدين على مقاسها،ولا تنسب تلك الأفعال للدين بل هي طقوس دينية تناسب أهواء الارهاب و تشبع نزواتهم لا غير،من ذلك في الرواية " الوثيقة التي عثر عليها في مجزرة بن طلحة "لما اجتاح الجيش الوطني منطقة أولاد علال،وقد تم تحريرها يوم 5جمادى الاولى 1418 و مصدرها مجهول مفادها :

"الأمير هو الذي يهديها، لا يقبلها إلا من أهديت له، وبإذن الأمير .لا تجرد من الثياب أمام الإخوة،لا يجوز النظر اليها بشهوة "

الكاتبة هنا وعبر تقنية الكولاج، أرادت أن تبين مدى الكارثة التي عاشتها النساء في فترة الدم تحت غطاء الدين، فهؤلاء النساء وحدهن من يعرفن الفتاوي التي أباحت أجسادهن، واغتصبن دون وجه حق .وحدهن من انتهكت أناهن ودمرت حياتهن وعشن بين أشواك العار والانتحار والجنون .....

الكولاج عمق صوت المرأة المغتصبة باسم الدين، وساهم في وقعنة أحداث الرواية وبيان أن ما عاشته بطلات الرواية قد عاشته بطلات جزائريات في فترة العشرية السوداء حقيقة وعلى أرض الواقع .

كما كشف لنا الكولاج واقعية تابو الدين في تلك الفترة .

4.خاتمة:

في الختام نخلص الى أن الكاتبة نجحت،في تعرية الواقع وكشف المستور والمسكوت عنه من خلال ملامستها لتابوهات عديدة تخص المرأة،كما أولت قضية المرأة،عناية خاصة في روايتها وجعلت منها ثورة شاملة الجوانب ودعت الى أن يشارك المجتمع بكل هياكله في حل قضيتها وأخذ استقلالها من الآخر .

كما استطاعت الكاتبة اللعب على أنغام الثالوث المحرم فتباين نتاجها بين الابتذال والجمال والواقعية،بلغة تارة صريحة جارحة وتارة مشفرة .

5. الهوامش:

[1] حسين مناصرة: مقاربات في السرد، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن،ط1، 2012،ص47.

[2] حسين مناصرة: مقاربات في السرد، مرجع سابق ص:40.

[3] نفس المرجع ص:40

[4] مرجع سابق ص:80.

[5] الأخضر بن السايح، مداخلة بعنوان: نص المرأة وعنفوان الكتابة، لملتقى دولي "الكتابة النسوية: التلقي، الخطاب والتمثلات " 18و19نوفمبر،بمساهمة فريق البحث فرنسا – المغرب العربي المدرسة العليا للأدب والعلوم الانسانية ليون، ص:29.

[6] فضيلة الفاروق: تاء الخجل، دار الرايس، الرياض، بيروت، لبنان، ط1، ص :36.

[7] نفس المرجع :36.

[8] حسين مناصرة: مقاربات في السرد، ص:64.

[9] بوشوشة بن جمعة، سردية التجريب وحداته السردية في الرواية العربية الجزائرية، المغاربية للطباعة والنشر،تونس،ط1، 2005،ص:75.

[10] الرواية ص:26

[11] الرواية ص :26

[12] الرواية ص :45

[13] محمد سالم صفوري،دراسة في السرد النسوي العربي الحديث، مكتبة كل شيء،دط،2011، ص:308.

[14] الرواية ص:52

[15] حسين مناصرة، مقاربات في السرد،مرجع سابق، ص:5